فلم نعلموا اما اعلم فهذان قياسان شرطيان من كلام الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام ومثله قول مالك بن المرحل الاندلسي: لو يكون الحب وصلا كله . لم تكن غايته الا الملل .
او يكون الحب هجرا كله . لم تكن غايته الا الاجل .
انما الوصل كمثل الما لا . يستطاب الما الا بالعلل .

فالبيتان الاولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فانه قاس الوصل على الماء فكما ان الما لا يستطاب الا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب الا بعد حرارة الهجر واما الاقيسة الجمليه فقد استنبطوها على صور منها ما يروى ان ابا دلف قصده شاعر تميمي فقال له ممن انت فقال من تميم فقال ابو دلف:

تميم بطرق اللوم اهدى من القطا . ولو سلكت طرق الهداية ضلت .

فقال له التميمي نعم بتلك الهداية جيت اليك فافحمه بدليل جملي الزمه فيه ان المجي اليه ضلال ولعمري ان القياس الشرطي اوضح دلالة هذا الباب من غيره واغلق في الذوق واسهل في التركيب فانه جملة واقعة بعد لو وجوابها وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم وعلى هذه الطريقة نظمت بيت البديعية وكذلك العميان وباني ذلك في موضعه فبيت بديعية الشيخ صفي الدين الحلي:

كم بين من اقسم الله العلي به . وبين من جا باسم الله في القسم .

بيت الشيخ صفي الدين الحلي ليس لنور المذهب الكلامي فيه اشراق ولكنه ملحق بالاقيسة الجمليه وبيت العميان قد تقدم انه من الاقيسة الشرطية وهو قولهم في مديح النبي صلى الله عليه وسلم:

لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت . كل الانام وارّوت قلب كل ظمي .

جملة هذا البيت هي الجملة الواقعة بعد لو وجوابها فانهم استدلوا بها على ما تقدم من الحكم وهو ان كفه صلى الله عليه وسلم محيطة بالبحر وبيان صحة ذلك ان الذي بلغت كفه ان تشمل كل الانام وتعمهم بالري دليلها واضح على انها محيطة بالبحر وقد تعين ان اقدم بيت بديعيتي هنا على بيت الشيخ عز الدين وافرط سبحة الترتيب لوجهين احدهما ان بيتي وبيت العميان افترا بسبحة هذا النوع في مطلع واحد وهو القياس الشرطي والثاني ان الشيخ عز الدين لم يتمسك في المذهب الكلامي الا بالقول الضعيف وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

ومذهبي في كلامي ان بعثته . لو لم تكن ما تميزنا على الامم .

دليل

دليل هذا القياس الشرطي في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وان هذه الامة تميزت بها على ساير الامم اوضح من النهار الذي لم يحتج عند ظهوره الى اقامة دليل وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته:

بمذهب من كلام الله ينسخ شرع الاولين ببشرى من كلامهم

كان الشيخ عز الدين غفر الله له يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه بمذهب من كلام الله اي القران ينسخ شرع الاولين وكانه جعل حجته القاطعة في المذهب الكلامي والله اعلم قوله ببشرى من كلامهم اي من كلام الاولين ولم ار في هذا البيت للمذهب كلاما ولا للكلام مذهبا غير ما ذكرته وفوق كل ذي علم عليم .

المناسبة

فعله وافر والزهد ناسبه . وحلمه ظاهر عن كل مجترم .

المناسبة على ضربين مناسبة في المعاني ومناسبة في الالفاظ فالمعنوية هي ان يبتدى المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وهذا النوع اعني المناسبة المعنوية كثير في الكتاب العزيز فمنه قوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الما الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون . فانظر الى قوله سبحانه وتعالى في صدر الاية التي هي للموعظة اولم يهد لهم ولم يقل اولم يروا لان الموعظة سمعيه وقد قال بعدها افلا يسمعون وانظر كيف قال في صدر الاية التي موعظتها مرئية اولم يروا وقال بعد الموعظة افلا يبصرون . ومن اظرف ما انقله هنا من النقد اللطيف في هذا الباب ان قاضي القضاه عماد الدين ابن القضامي اخا شيخنا قاضي القضاة علا الدين الحنفي نور الله ضريحه . وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه نظم قصيدة امتدح بها المقر المرحومي ارغون الاشرفي كافل المملكة الشريفة الحموية وعرضها قبل انشادها للممدوح على اخيه المشار اليه فانتهى منها الى بيت في المديح يقول فيه:

خبير بتدبير الامير فمن يرى . سوى ما يراه فهو في هذه اعمى .

فقال له شيخنا قاضي القضاة علا الدين يجب ان تقول لاجل المناسبة المعنوية موضع خبير بصير وقد عدوا من محاسن الامثلة المعنوية قول ابي الطيب المتنبي:

على سابح موج المنايا بنحره . غداة كان النبل في صدره وبل .

فان بين لفظة السابح ولفظتي الموج والوبل تلبسا معنويا صار البيت به متلاحما

Copyright © King Saud University